تواتر الفعل الفلسطيني

د. أسعد عبدالرحمن (رئيس التحرير)، **منظمة التحرير الفلسطينية؛ جذروها، تأسيسها، مساراتها**، نيقوسيا: مركز الابحاث ـ م.ت.ف. ١٩٨٧، ٤٠٥ صفحات.

بكمّ ضخم من المعلومات، وبقدر من التحليل، بعد اتباع منهج استعراض الحدث، والتقليل، قدر الامكان، من اطلاق الاحكام، أو الانطلاق من الاحكام العامة السائدة، مع ما يتصل بذلك من محاولة تجنّب اسقاط ذاتية الباحث، كما ذاتية رئيس التحرير، أنجز فريق من الباحثين الفلسطينيين كتابة تاريخ كيانهم السياسي، أو تاريخ كيان منظمة التحرير الفلسطينية.

الفكرة بذاتها عمل هام. والتأريخ بذاته انجاز هام، ويشكل علامة على حجم الحشد الفلسطيني وحجم التعبئة والتحفّز، لاعتبار أن العمل ليس انجازاً لمؤسسة، بل لتكتل جهد فردي متوزع في اصقاع الدنيا.

سبعة باحثين شاركوا في العمل: عيس الشعيبي، د. عبد المعطي عساف، د. أحمد نوفل، د. محمد علوان، وليد الجعفري، د.باسم سرحان، د. عمر الخطيب، ثم كان د. أسعد عبد الرحمن مشرفاً ـ رئيساً للتحرير. وهنا تبرز ضرورة الاشارة إلى حجم الجهد الذي قدمه رئيس التحرير، اذ معروفة حالة التنوع التعارضية والتباعد المزاجي الذي يكتنف الفلسطينيين في شتاتهم، فتكون مهمة رئيس التحرير غاية في الصعوبة، من حيث محاولة خلق وحدة في المزاج السياسي، كما هي وحدة في الشكل ايضاً، من حيث الاسلوب واللغة ونظام الوعي.

يهدي أسعد الكتاب إلى «ميّ» التي احتملته، وكلّهن احتملننا، وكان الاولى أن يهدى العمل اليهن كلهن، «مي» وزوجات الباحثين، وزوجات كل الفلسطينيين، لقساوة عيشهن كما عيشنا جميعاً.

يتكوّن الكتاب من أقسام خمسة تبدأ بنكبة العام ١٩٤٨ وآثارها العامة، فيقدم عيسى الشعيبي رؤية دقيقة فعلاً لحالة التشكل، أو أعادة التشكل، الفلسطيني، بعد انهيار ١٩٤٨، اذ ليست راسخة، بعد، في الوعي الفلسطيني العام، الاهمية المطلقة لتشكل واعلان حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، من حيث كونها «أول حركة فلسطينية، بالمعنى الحرفي للكلمة، تنشأ بعد وقوع النكبة، العام ١٩٤٨، وتستمر» (ص ٣٩).

يبدو الشعيبي وكأنه يضع نقاطاً فعلية على حروف فعلية، فيحدد المسار إلى كيفية التأريخ للمرحلة المعاصرة من التجربة الفلسطينية المزدحمة بثراء الروح.

في الفصل الثالث من تمهيدات الكتاب، يتصل د.عبد المعطي عساف بنقطة جوهرية هي: «في النصف الثاني من الخمسينات، بدأت بشائر تغير جذري في التفكير الفلسطيني، سياسياً وعسكرياً، بشأن ترتيب العلاقة ما بين الحركة الوطنية ـ الفدائية الفلسطينية، من جهة، والحركات القومية والدول العربية وجيوشها، من جهة أخرى؛ فبدلاً من قيام هذه العلاقة على أساس المتغير العربي المستقل، والمتغير الفلسطيني التابع، واعتبار النضال العربي بديلاً للنضال الفلسطيني، أو حاوياً له، راح الفلسطينيون يستردون وعيهم الذاتي، ويؤكدون أن تحقيقهم لذاتيتهم يمثل المدخل الاساسي والقاعدة الاولى للتحرير» (ص ٥٦). ويؤكد عساف هذه الفكرة بالحاحه على التأريخ لبدايات النضج في الفكر السياسي الفلسطيني وذلك بالتحول «نحو تحقيق الذات الفلسطينية